المرجعية الدينية في الجزائر -الأسس والمرتكزات-

The Algerian religious référence bases

بن مصطفى دريس * driss.benmostefa@yahoo.com	حامعة سعيدة

الإرسال: 08/ 09/ 2020 **القبول**: 14/ 01/ 2021 **النشر**: 26/ 02/ 2021

ملخص :

يتناول المقال بالدراسة جانبا هاما من الحياة الدينية للجزائر المعاصرة وهو المرجعية الدينية التي تعتبر صمام آمان للمجتمع الجزائري من الأفكار التضليلية والهدامة الدخيلة على المجتمعات الاسلامية ككل والمجتمع الجزائري بشكل خاص، وعالجنا من خلاله المرتكزات والأسس التي تقوم عليها هذه المرجعية وأسباب اختيار الجزائر لتلك الاسس

الكلمات المفتاحية:

المرجعية الدينية، الجمهورية الجزائرية، المرتكزات العقدية، الثوابت الوطنية

- تمهيد :

المرجعية الدينية هي الإطار الأصولي والقانوني الذي يسيّر الممارسات والشعائر الدينية ضمن مدرسة معينة، وتحت اشراف الهيئة الدينية الوصيّة والمخولة بذلك، ولا شك في أنّ الجزائر كباقي الدول الاسلامية تحتكم الى مرجعيتها الدينية الخاصة بها، والتي أصبحت في وقتنا الحاضر أشد حرصا على حمايتها باعتبارها صمام الأمان وقوة الصدام التي تقف في وجه التيارات الدينية والفكرية الدّخيلة التي تهدد أمنها واستقرارها واستقرار البلاد العربية والإسلامية بشكل عام، في وقت أصبحت الأفكار تنتشر انتشار النار في الهشيم بفعل التطور التكنولوجي وما رافقه من سرعة في انتقال المعلومات والأفكار وسط الانتشار الهائل لوسائل التواصل الاجتماعي.

فما هي الأسس والمحددات التي قامت عليها المرجعية الدينية في الجزائر؟ و ماهي مسوغات وعلّية هذا الاتجاه المرجعي ؟

I.1: مفهوم المرجعية الدينية:

* driss.benmostefa@yahoo.com

المرجعية الدينية هي الإطار الأصولي والقانوني الذي يسيّر ممارسة شعائر الدين الإسلامي في بلد معين كما سبقت الاشارة الى ذلك، وهناك علاقة مترسخة قائمة بين هذه المرجعية والجماهير أسّسها الرسول صلعم، وبالتالي فقد أصبحت من الثوابت التي لا يمكن تناسيها أو التخلي عنها.

ولم يستعمل العلماء المتقدّمون هذا المصطلح، وإنما شاع بكثرة في كتب المعاصرين، ويعتبر الشيعة وخاصة الإمامية (1) الأكثر استعمالا له، لكنهم يقصدون به الأئمة المجتهدين المعصومين، الجامعين للشرائط الشرعية المنصوص عليها في رسائلهم العلمية، وأما المتأخرون من أهل السنة فيطلقون هذا المصطلح قاصدين به معنيين أحدهما فكري يتمثل في الاختيارات الفقهية أو العقائدية أو السلوكية لمجموعة من الاشخاص داخل اقليم جغرافي أو سياسي معين في ظل انتفاء وحدة اسلامية شاملة وهو ما يعرف بمرجعية الفكرة.

وآخر يتعلق بالأشخاص أي الفقهاء والعلماء الذين يُرجع إليهم في معرفة وفهم أحكام الشرع وفق المذهب المختار، أو ما يعرف بمرجعية الأفراد، وبالتالي فالمرجعية الدينية هي: "الأصول الشرعية المختارة في فهم الدين وتطبيقه والهيئات العلمية المخبرة بأحكامها "

وللمرجعية الدينية شقان: أحدهما علمي، وآخر مؤسساتي، يكمّلان بعضهما البعض، ولا يمكن الحفاظ على هذه المرجعية إلا بتفعيلهما معا.

يتمثل الشق العلمي فيما أشرنا اليه سابقا بمرجعية الفكرة والأفراد التي بواسطتها يمكن الفصل في قضايا الأمة، أما الجانب المؤسساتي فيتمثل في المؤسسة الإدارية الشرعية التي توفر الدعم المادي والمعنوي للكفاءات العلمية المؤهلة بصفة رسمية وتحت غطاء أو حماية السلطة حتى تتمكن من أداء مهامها، وتكون لها وسائلها الإعلامية الخاصة بها، التي تمكنها من بث أفكارها، وإيصال صوتها للناس.

ويرى البعض وخاصة الشيعة أنه لا يمكن فاعليتها دينيا الاّ باقامة الدليل الشرعي-الكافي في العذر-عليها وعلى جميع أومقوماتها مثل من له حق تشكيل اللجنة وتحديد صلاحيتها من حيثية نصب المرجع فقط أو الرقابة عليه أو عزله اذا فقد الأهلية وتحديد عدد أعضائها ومرتبتهم من العلم والتقوى وكيف يعرف ذلك فيهم وما هو الموقف عند اختلافهم(2) .

ولتنجح هذه المرجعية في القيام بدورها يرى البعض وجوب توحيد الفتوى وضبطها قصد سد الأبواب أمام مُروّجي الفتاوى الشاذة، التي تفضي في غالب الأحوال الى الإخلال بها وفصم وحدتها وتمزيق صفوفها،على غرار ما يحدث الآن في مجمل البلاد العربية ووقوع الشباب خاصة في حيرة من أمره وأمر دينه .

I.2- الأسس والركائز التي تقوم عليها:

تقوم المرجعية الدينية في الجزائر على جملة من الأسس والمرتكزات والتي نلاحظ أنها في معظمها تتميز بالاعتدال والوضوح والمنطق وهي:

I.1.2. أهل السنة والجماعة:

وهم أخصّ الناس بالسنة والجماعة وأكثرهم تمسكا بها واتباعا لها قولا وعملا واعتقادا، وقد قال قوّام السنة أبو القاسم التيمي الاصبهاني:((قولهم: فلان على السنة، ومن أهل السنة، أي: هو موافق للتنزيل والأثر في الفعل والقول لأن السّنة لا تكون مع مخالفة الله ومخالفة رسوله)) (3).

وعرّف الحافظ بن رجب السنة بقوله:((والّسنة هي الطريق المسلوك، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديما لا يطلقون اسم السنة الا على ما يشتمل ذلك كله، وروي معنى ذلك عن الحسن والأوزاعي والفضيل بن عياض وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقاد الا انها اصل الدين والمخالف فيها على خطر عظيم)) (4) .

ان أهم ما يميز أهل السنة أنهم يستدلون على ما يجب من الاعتقاد بالكتاب ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم التابعين وأقوال الأئمة بعدهم، وهذا ما يعرف بمصدر التلقّي وفي هذا الشان قال امام السنة أبو محمد الحسن البربهاري((واعلم رحمك الله ان الدين انما جاء من قبل الله تبارك وتعالى، لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، وعلمه عند الله ورسوله، فلا تتبع شيئا بهواك فتمرق من الدين فتخرج من الاسلام)) (5) وهذا مؤكد لانّ دلائل العقل قلما تتفق، وعقل كل واحد يرى صاحبه غير مايرى الآخر ومن هنا فالأصل في الدين الاتباع، والعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء ولبطل معنى الأمر والنهي (6).

أما أصل كلمة الجماعة فلأنّ أهل السنة مجتمعون عليها، وبهذا صاروا جماعة بمعنى مجتمعين.

والجزائر تنتمي إلى أهل السنة والجماعة التي تمثل أكبر طائفة إسلامية تنتمي إليها الغالبية العظمى من المسلمين، من مصادر التشريع الإسلامي السني: القرآن وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم المتمثلة في الأحاديث النبوية المنسوبة إليه والصحيحة منها، ويأخذون الفقه عن الأئمة الأربعة، ويعتقدون بصحة خلافة الخلفاء الأربعة الأوائل: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ويؤمنون بعدالة كل الصحابة.

وهي الثالثة والسبعون من الفرق التي أخبر رسول الله صلعم بوجودهم في أمته وأنها الناجية وما عداها ففي النار; وهذا فيما رواه ابو هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلعم:((افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة)) (7) وفي رواية وحديث آخر((ليأتينّ على أمتي ما أتى على بني اسرائيل، تفرق بنو

اسرائيل على اثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليه ملة، كلهم في النار الا ملة واحدة »، قالوا يا رسول الله وما الملة التي تتغلب؟ قال:« ما أنا عليه واصحابي» (8).

وأهل السنة والجماعة في حد ذاتهم صنوف ثمانية،لا يتسع المجال هنا للتفصيل فيها،وهم في مجموعهم أصحاب الدين القويم والصراط المستقيم ثبتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة» (9).

اذن فأهل السنة متبعون لآثار الرسول ومهتدون بهديه مقتدون به في أقواله وأفعاله مستنوون بسنته وسنن خلفائه وأصحابه، كما أنهم وسط في فرق أمته، كما أن أمته وسط في الأمم، فهم وسط في صفات الله بين أهل التعطيل والجهمية (تنسب الى الجهم بن صفوان أول القائلين بالجبر، اذ أنّ الإنسان في نظره مجبور في أفعاله، فلا قدرة له ولا اختيار فهو كالريشة المعلقة في الهواء اذا تحرك تحركت وإذا سكن سكنت، وأن الله هو الذي قدر عليه أفعاله) (10) وأهل التمثيل المشبهة المجسّمة، وفيهم يقول صاحب الفرق بين الفرق « اعلموا اسعدكم الله ان المشبهة صنفان، صنف شبهوا ذات البارئ بذات غيره ...وصنف آخر شبهوا صفاته بصفات غيره) (11) وهم وسط في أفعال الله بين القدرية (12) والجبرية، والقرآن قد جمع حقا بين مقالتي الجبر والاختيار ولم يقطع في أي منهما برأي مطلق حاسم فيقول عز وجل « وماتشاؤون الاّ أن يشاء الله» (سورة المرسلات: الآية 30) وهذا تأييد لمقولة الجبر، وفي آية أخرى « انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » (سورة الانسان، الآية3) وهي تعني أن الانسان مختار له حرية الفعل(13)، وفي باب وعيد الله بين المرجئة وبين الوعيدية من القدرية والخوارج وفي باب الايمان والدين بين الحرورية التي تشكلت من فريق من أصحاب علي كرم الله وجهة الذين رفضوا القبول بمبدأ التحكيم وثاروا عليه مدّعين أن الفصل في موضوع الخلافة لا يصح أن يوكل الى البشر وقالوا «لا حكم الاّ لله» وانفصلوا عن جيش علي وساروا الى حروراء بالقرب من الكوفة وجعلوا من عبد الله بن وهب الراسبي أميرا عليهم وسموا بالحرورية (14) والمعتزلة وبين المرجئة الذين يقولون بأنه لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وقالوا بإرجاء الحكم على صاحب الكبيرة الى يوم القيامة فلا يقضي عليه بحكم في الدنيا يجعله من أهل الجنة أو أهل النار(15)، وفي أصحاب رسول الله بين الروافض وبين الخوارج.

وفي هذا الخصوص قال بعض السلف: السنة سفينة نوح فمن ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ويقول الامام عبد القاهر البغدادي بعد أن فصل اعتقاد أهل السنة ((فمن قال بهذه الجهة التي ذكرناها ولم يخلط ايمانه بشيء من بدع سائر اهل الاهواء فهو من جملة الفرقة الناجية ان ختم له بها) (16) .

2.2.I العقيدة الأشعرية:

تعتمد الجزائر على العقيدة الأشعرية تلك المدرسة الإسلامية السنية، التي اتبع منهاجها في العقيدة عدد كبير من فقهاء أهل السنة والحديث، فدعمت اتجاههم العقدي.

ومن كبار هؤلاء الأئمة الذين اتبعوها أو أخذوا عن الأشعري: الامام أبي الحسن الباهلي البصري والامام أبي عبد الله مجاهد البصري، والامام أبي محمد الطبري المعروف بالعراقي، والبيهقي، الباقلاني، القشيري، الجويني، الغزالي، الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير، البيضاوي صاحب تفسير أنوار التنزيل، والسيوطي صاحب الإتقان في علوم القرآن، والنووي صاحب رياض الصالحين، وغيرهم كثير من العلماء الأعلام، حتى إنهم مثَّلوا جمهور الفقهاء والمحدثين من شافعية ومالكية وأحناف وبعض الحنابل (17)، ولذا فقد انتهض لنصرة مذهبه أهل السنة والجماعة في جميع الأرض وبلغ مذهبه مابلغ اللّيل والنهار لما كان عليه من اقتفاء لآثار السلف رضوان الله عليهم ورفع للواء السنة(18).

ورغم ما يثار من جدل ولغط حول سنّية الأشاعرة أوبالأحرى موافقتهم للسنة إلا أن الكثير من العلماء أكدوا ذلك في النقطة الحساسة التي يثيرها البعض لاثبات خروجهم عن الصواب وهي قضية التعطيل والتشبيه فلا هم ولا الماتريدية كانوا معطلين للصفات ولا مشبهين لله بالمخلوقات، انما هم مثبتون لله تعالى كل ماثبت نقلا وعقلا من الكمالات ومنزهون له عن سمات النقص والآفات(19).

وهناك من يتحجج بخروج المتأخرين من الاشاعرة عن نهجه الاصيل وهذا من خلال قولهم: ((ان كانت الأشعرية هي ما عليه الأشعري في الابانة-كتاب للأشعري- فجهلا، وأما ان كانت على ما عليه الأشاعرة المتأخرون فلا و ألف لا)) (20).

يعتبر الأشاعرة بالإضافة إلى الماتريدية المكوّنان الرئيسيان لأهل السنة والجماعة إلى جانب فضلاء الحنابلة، فالحنفية ماتريدية، والشافعية والمالكية وجملة كبيرة من أئمة الحنابلة المتقدمين من الأشاعرة، والإمامان الأشعري والماتريدي قد تبنّوا منهجاً مماثلاً وطبّقوه، فاستطاعوا بمرور الزمن أن يشكّلوا مدرسة كلامية سنّية انتسب إليها أكثر من تسعين بالمائة من مسلمي العالم الإسلامي.

والأشاعرة جماعة من أهل السنة، لا يخالفون إجماع الأئمة الأربعة، ولا يعارضون آية واحدة من القرآن ولا الحديث، وما ثبت عن الصحابة والعلماء الأعلام، ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة، فهم أعيان السنة وأنصار الشريعة، انتصبوا للرد على المبتدعة فمن طعن فيهم فقد طعن على أهل السنة(21)، وتعتبر الأشعرية منهجاً وسطاً بين دعاة تغليب العقل عن النقل وبين الجامدين عند حدود النص وظاهره، رغم أنهم قدموا النص على العقل، إلا أنهم جعلوا العقل مدخلاً في فهم النص، كما أشارت إليه آيات كثيرة دالة على التعقل والتدبر، وهم الذين وقفوا في

وجه المعتزلة الذين أقاموا مذهبهم على جملة من المبادئ أو الأصول هي (العدل والتوحيد والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين)، والتي تتفق ظاهريا مع أهل السنة والجماعة لكن تفسيرهم لها يتفق مع مذهبهم الذي يغلّب العقل عن النقل، فزيفوا أقوالهم، وأبطلوا شبههم، وأعادوا الحق إلى نصابه على طريق سلف الأمة ومنهجهم.

والإمام الأشعري لم يؤسس في الإسلام مذهباً جديداً في العقيدة، يخالف مذهب السلف، حقا قد مرت الاشعرية بثلاث مراحل مثلت أولاها مرحلة النزاع بين السلفية (ومنهم الاشاعرة) ودعاة النظر العقلي من المعتزلة والتي دامت حتى سن الاربعين ، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة اتباعه لعبد الله بن سعيد بن كلاب التي سجلت تحول الاشعري عن الاعتزال ويحاول فيها شيخ الاشعرية جاهدا التودد الى السلفية والى دعاة الموقف السني بصفة عامة ويواجه بعداء شديد من الحنابلة المتشددين رغم محاولة مماشاتهم في كتاب الابانة (22)، مما مكّنه أي قبل وفاته من الرد عليهم، وإبطال شبههم، فوجد فيه أهل السنة ضالتهم التي طالما بحثوا عنها فاتبعوه، وساروا على نهجه، لما رأوا فيه من القدرة على إفحام خصومهم، والدفاع عنهم، وتثبيت مذاهبهم.

وعقيدة الإمام الأشعري التي سار عليها هي عقيدة الإمام أحمد بن حنبل، والشافعي، ومالك، وأبي حنيفة وأصحابه، وهي عقيدة السلف الصالح، كما نص على ذلك أئمة أهل العلم ممن سار على هذه العقيدة.

لقد مثّل ظهور الأشاعرة نقطة تحول في تاريخ أهل السنة والجماعة التي تدعمت بنيتها العقدية بالأساليب الكلامية كالمنطق والقياس. وإلى جانب نصوص الكتاب والسنّة، فإن الأشاعرة استخدموا العقل في عدد من الحالات في توضيح بعض مسائل العقيدة، وهناك حالات استخدم فيها عدد من علماء الأشاعرة التأويل لشرح بعض ألفاظ القرآن الموهمة للتشبيه، وهذا ما يرفضه السلفية وينتقدونهم عليه، ويقول أبو الحسن الندوي في الاختلاف الكامل بين الأشاعرة والمعتزلة من جهة، وعدم مطابقتهم تمامًا لبعض أهل الحديث والحنابلة واختلافهم معهم في جزئيات منهجية عدّة من جهة أخرى.

كان الأشعري مؤمنًا بأن مصدر العقيدة هو الوحي والنبوة المحمدية وما ثبت عن الصحابة، وهذا مفترق الطريق بينه وبين المعتزلة، فإنه يتجه في ذلك اتجاهًا معارضًا لاتجاههم، ولكنه رغم ذلك يعتقد أن الدفاع عن العقيدة السليمة، وغرسها في قلوب الجيل الإسلامي الجديد، يحتاج إلى الحديث بلغة العصر العلمية السائدة، واستعمال المصطلحات العلمية، ومناقشة المعارضين على أسلوبهم العقلي، ولم يكن يسوغ ذلك، بل يعدّه أفضل الجهاد وأعظم القربات في ذلك العصر، وهذا مفترق الطرق أيضا بينه وبين بعض الحنابلة والمحدثين الذين كانوا يتأثم يرفضونون النزول إلى هذا المستوى.

ويفترق مذهب الأشاعرة عن مذهب الجبرية(23) في هذه المسألة، في أن الجبرية لا قدرة ولا إرادة ولا فعل عندهم للإنسان، أما الأشاعرة فهم يرون أن للإنسان قدرة لكن لا تأثير لهذه القدرة في جنب قدرة الله، وله أفعال لكن الله هو من خلقها، وله إرادة تستند أفعاله إليها، لذا يعدّ الإنسان عند الأشاعرة مختارًا في أفعاله، ويكفي عندهم تسمية أفعاله " أفعالاً اختيارية" استناد تلك الأفعال إلى إرادته واختياره، وهذه الإرادة والاختيار عند الأشاعرة هي من الله، لذا فإن الأشاعرة يرون بأن مذهبهم مختلف جدًا عن مذهب الجبر في مسألة أفعال العباد.

وقد التزم الاشعري او استخدم طريقين معا في اطار الموقف الوسط الذي التزم به منذ انشقاقه عن المعتزلة.

الطريق الأول وهو طريق السلف الصالح الذي رفض منهج التأويل ويحترز من الوقوع في حظيرة التشبيه ويسمي الأشاعرة هذا الطريق بطريق السلامة.

أما الطريق الثاني فهو الطريق الذي سلكته المعتزلة باستخدامها للتأويل، وقد عمد الأشاعرة الى هذا الاسلوب مخافة من الوقوع في التشبيه وكذلك لمواجهة خصومهم المعتزلة المعطلين للصفات الالهية فتصدوا للرد عليهم واثبات الصفات الالهية وذلك في نطاق حركة الكلام السني دون غلو او شطط في استخدام المنهج العقلي كما فعلت المعتزلة.

I.3.2.المذهب المالكي:

نسبه الى الامام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المولود حوالي سنة ثلاث وتسعين هجرية بالمدينة المنورة موطن الشرع ومبعث النور ومركز العلم ومقر الخلافة الاسلامية في بيت عرف باشتغاله بعلم الحديث(24)، وهو صاحب كتاب الموطأ والمدونة المشهورين.

تعتمد الجزائر على فقه المذهب المالكي الذي هو أحد المذاهب الإسلامية السنية الأربعة، والذي يتبنى الآراء الفقهية لهذا الامام الفقيه، فقد تبلور مذهباً واضحاً ومستقلاً في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، ويمثل اتباعه حوالي خمسا وثلاثين بالمائة من إجمالي مسلمي العالم، وينتشر بشكل أساسي في شمال أفريقيا، وفي شبه الجزيرة العربية، وبلدان أخرى في الشرق الأوسط، كما تنتشر في دول السنغال وتشاد ومالي والنيجر وشمال نيجيريا في غرب أفريقيا وكان يتبع في الحكم الإسلامي لأوروبا والأندلس وإمارة صقلية.

ولعلّ من أهم الاسباب التي جعلت أهل الغرب الاسلامي ومنهم أهل المغرب الأوسط سابقا يتمذهبون به، هي شخصية صاحبه لما عرف عنه تمسكه بالسنة ومحاربة البدعة وتشبثه التام بآثار الصحابة والتابعين واستجماعه أدوات الإمامة، وهذا ما دفع الناس الى ان يقدروا علمه ويقتنعوا بأن مذهبه أولى بالاقتداء والأتباع، فكان جديا ومخلصا في بذل العلم والتزامه الصارم بإتباع نصوص الكتاب والسنة والقياس الواضح.

كما أن أصول المذهب المالكي تعد من أقوى الأصول صحة، وأكثرها عددا، قال الامام ابن تيمية: ((من تدبر أصول الاسلام وقواعد الشريعة، وجد أصول مالك وأهل المدينة أصحّ الأصول والقواعد)) (25)

وقال أبو زهرة :اننا لنقرّ غير مجازفين أنه مذهب الحياة والاحياء، قد اختبره العلماء في عصور مختلفة، فاتسع لمشاكلهم واختبره علماء القانون في عصرنا الحاضر، فكان مسعفا لهم في كل ما يحتاجون اليه من علاج، وأن نوع الأصول التي يزيد بها المذهب المالكي على غيره ومسلكه في الأصول التي اتفق فيها مع غيره فيجعلانه أكثر مرونة وأقرب حيوية وأدنى الى مصالح الناس (26)، ومنهم من يرى ملائمة مذهبه لطبيعة المغاربة لأنه مذهب عملي يعتد بالواقع ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم ففقهه عملي اكثر مما هو نظري يتمشى مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكلف أو تعقيد وأهل المغرب بطبعهم يميلون الى البساطة والوضوح ويفرون من النظريات المتطرفة والتأويلات البعيدة المتكلفة ويرى آخرون في أن سبب الانتشار هو مناهضة فقهاء المالكية لفقهاء الأحناف، اذ كانوا يأخذون عليهم تواطئهم مع الأمراء الأغالبة الذين ناصروا المذهب الحنفي وقربوا فقهاءه واسندوا اليهم الرئاسة والقضاء ونكلوا بالمالكية وهذا دفع الاحناف الى ان يتساهلوا في اصدار الاحكام الشرعية مسايرة منهم لحياة الترف التي كان يحياها الأغالبة، كتحليل النبيذ مثلا وكذا اخذهم بخلق القرآن الذي مال اليه الأغالبة وتبعهم فيه فقهاؤهم الاحناف وهي مسألة امتحن فيها ابن سحنون في المغرب امتحان ابن حنبل في المشرق.

وفي بلاد الأندلس يرد البعض سبب الانتشار الى موقف السلاطين، اذ يذكر أن مالكا سأل بعض الأندلسيين عن سيرة ملك الأندلس فوصف له سيرته قائلا: انه يأكل الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله فقال مالك ليت الله زين حرمنا بمثله، فوصل الخبر الى ملك الاندلس فحمل الناس على مذهبه وترك مذهب الأوزاعي.

وهناك سبب آخر يرى ابن خلدون أنه كان سببا في انتشاره وهو رحلة المغاربة الى الحجاز غالبا، وفي هذا يقول: ((وأما مذهب مالك رحمه الله فاختص به أهل المغرب والأندلس وان كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل لما أن رحلتهم كانت غالبا الى الحجاز، وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق وشيخهم يومئذ امامهم مالك بن أنس وشيوخه من قبله وتلامذته من بعده، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته))(27).

ويرى آخرون أن السبب هو مناهضة المذهب المالكي لمذهب الخوارج الذي كان قد تسرب الى المغرب منذ أوائل القرن الثاني الهجري على يد بعض خوارق العراق واستشرى فيه، والخوارج كما نعلم ينكرون حكم الأمويين والعلويين وبما أن الأندلس كانت تحكم من قبل الامويين والمغرب كان

ياس من طرف الادارسة العلويين لذلك عمل حكام هذين القطرين على ترسيخ مذهب مالك لإبطال مذهب الخوارج.

I.4.2.التصوف الجنيدي:

التصوف Mysticism بشكل عام مذهب يدعو للتأمل والتبصر الروحي، والدخول في تجربة الالتحام التام والتوحد والبحث عن الحقيقة المطلقة، وانسجام الذات مع الكل، والتناسق بين الذات وجميع عناصر الكون للوصول الى مرحلة اتحاد الكل في واحد، ويمكن الوصول الى هذا الهدف من خلال تجربتين صوفيتين مختلفتين: الأولى هي اخراج كل الانتباه الوجداني والشوق الصوفي من الذات الداخلية، وهو ما يسمى بالتصوف الانبساطي، والثانية تركز كل الانتباه الوجداني نحو الداخل، وهو ما يسمى بالتصوف الانطوائي(28).

ولا أحد يستطيع أن ينكر ما وصلت اليه بعض الفرق والطرق الصوفية من انحرافات عن جادة الدين وهو ما سماه البعض بالتصوف البدعي لما يفضي اليه من شطحات لا علاقة لها بالدين الاسلامي، لكن ما نقصده هنا هو التصوف السني المتّزن الذي تنبع أصوله من سنّة الرسول صلعم قولا وعملا واقرارا.

ولقد صنف أبو منصور البغدادي الزّهاد الصوفية فقال: ((الذين أبصروا فاقصروا واختبروا فاعتبروا ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور وعلموا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك مسؤول عن الخير والشر ومحاسب على مثاقيل الذر فاعدوا خير الاعداد ليوم الميعاد..... ومذهبهم التفويض الى الله تعالى والتوكل عليه والتسليم لامره والقناعة بما رزقوا والاعراض عن الاعتراض عليه)) (29) ، والجزائر تعتمد في تربيتها الصوفية على المدرسة السلوكية التي أسسها أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، أصله من نهاوند في همدان (مدينة أذرية)، ولد في القرن الثالث للهجرة ومولده ومنشؤه ببغداد.

ويعتبر الجنيد عند علماء التصوف سيد هذه الطائفة ومقدم هذه الجماعة وإمام هذه الخرقة وشيخ طريقة التصوف وعلم الأولياء في زمانه وبهلوان العارفين-كما يصرح بذلك السبكي في طبقاته (30)، ويقول عنه أحد تلامذته وهو جعفر الخلدي(31):((لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد، إذا رأيت علمه رجّحته على علمه، ويقول: قال الجنيد ذات يوم: ما أخرج الله علما وجعل لخلق إليه سبيلا إلا وجعل لي فيه حظا ونصيبا)) (32)، وقال أبو القاسم الكعبي المتكلّم المعتزلي: ((مارأت عيناي مثله، كان الكتبة يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة لدقّة معانيه، والمتكلمون لعلمه)).

وقال الخلدي:((وبلغني أن الجنيد كان في سوقه، وكان ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة))، قال: وسمعته يقول: ((ما نزعت ثوبي للفراش منذ أربعين سنة)) (33)

وقد أكدّ الجنيد ضمن رسائله على وحدانية الله وعلى التوحيد بقوله: ((اعلم أن أول عبادة الله عز وجل معرفته، وأصل معرفة الله توحيده ونظام توحيده نفي الصفات عنه بالكيف والحيث والأين، فبه استدلّ عليه، وكان سبب استدلاله به عليه توفيقه، فبتوفيقه وقع التوحيد له، ومن توحيده وقع التصديق به، ومن التصديق به وقع التحقيق عليه ومن التحقيق جرت المعرفة به، ومن المعرفة به وقعت الاستجابة له فيما دعا إليه، ومن الاستجابة له وقع الترقي إليه، ومن الترقي إليه وقع الاتصال به.....)) (34)، قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي: «هو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة» صحب جماعة من المشايخ، وأشتهر بصحبة خالهِ سري السقطي، والحارث المحاسبي، ودرس الفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقتهِ وهو ابن عشرين سنة، وتوفي يوم السبت سنة 297 هـ

ويتمثل منهجه التربوي في هداية المريدين تحت إشراف الشيخ الصوفي بواسطة الأوراد لنيل الواردات مع مراعاة الأدب.

ومن أقوال الجنيد الماثورة ((الطريق الى الله عز وجل مسدود على خلقة الاّ على المقتفين آثار رسول الله كما قال الله عز وجل: ((لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة)) (سورة الأحزاب، الآية 21)، وبالتالي فلم يكن من المغالين في الزهد والتصوف حتى الشذوذ وانما كان متصوفا سنيا يقتفي آثار الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح.

II- الخاتمة:

وفي الأخير نستطيع القول بأن التمسك بمكونات المرجعية الدينية للجزائر هو السبيل الامثل للوقوف في وجه التيارات الدينية الدخيلة أو ما يعرف بالإصلاحية الاسلامية النهضوية الحديثة (ق19) التي استلهمت تيارات الاجتهاد في ذلك التراث فنشأت الاحيائية الصحوية الاسلامية (وحفيداتها من الحركات التكفيرية) مستلهمة الانغلاق والجمود والتكفير من بعض مصادر الفكر الظلامي المنغلق الموجود في تراثنا والتي لا يمكن بأي حال من الأحوال انكاره بدعوى تنقية هذا التراث، والتي تتأتى ببرنامج عمل يقوم على جملة أهداف مترابطة متضامنة في غاياتها العليا، وفي جملتها اشاعة وترسيخ قيم العقل والتسامح والاجتهاد وروح التجديد وقيم السلم والحوار والانفتاح على الغير ونبذ التعصب وتحري النسبية في التفكير، أي مجمل القيم التي أنتجت اللحظات المجيدة والمشرقة والحضارية في التراث العربي الاسلامي ومكنت لحضارة الاسلام من أن تتبوأ الصدارة بل مكنتها من الصيرورة حضارة كونية وهذا ما يتطلب سنوات من العمل التربوي

عبر جميع مراحل التعليم حتى تكون المرجعية الدينية سدا منيعا ضد الفتن الدينية خاصة وان للجزائر تجربة مريرة عاشها شعبها عبر ما سمي بالعشرية السوداء.

III-الإحالات والمراجع :

1. ان الخلاف الاساسي الذي يدور الخلاف حوله بين اهل السنة والشيعة هو مشكلة الامامة والشيعة الامامية –الاثنا عشرية – التي تتمسك بضرورة قيام امام معصوم يتولى امور الدين والدنيا ويكون له الحق في تفسير القران بما أوتي من علم الهي يتلقاه من مشكاة النبوة . انظر: أبو ريان محمد (2000)، **تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام**، د-ط، مصر: دار المعرفة الجامعية، ص.116.
2. آية الله العظمى، السيد الحكيم (1998)، **المرجعية الدينية وقضايا أخرى**، الطبعة الأولى، مطبعة ستارة، ص. 35.
3. فيصل بن قزاز الجاسم (2007)، **الاشاعرة في ميزان أهل السنة** ، الطبعة الاولى، دولة الكويت: المبرة الخيرية لعلوم القران والسنة ، ص.61.
4. فيصل بن قزاز الجاسم (2007)، **المرجع السابق**،ص.61.
5. البربهاري (1418ه)، **شرح السنة**، ط2، (تحقيق خالد الردادي)، الرياض- السعودية : - دار السلف،ص.66.
6. انظر فيصل بن قزاز الجاسم (2007)، **المرجع السابق**، ص.68.
7. ابي منصور محمد البغدادي (1988)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، د. ط (دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت)، مصر، القاهرة: مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، ص.23.
8. ابي منصور محمد البغدادي (1988)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، ص.24.
9. ابي منصور محمد البغدادي(1988)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، ص274.
10. أو الجهمية، نسبة الى الجهم بن صفوان اول القائلين بالجبر والانسان في نظرهمجبور في افعاله فلا قدرة له ولا اختيار فهو كالريشة المعلقة في الهواء اذا تحرك تحركت واذا سكن سكنت وأن الله هو الذي قدر عليه أفعاله. انظر أبو ريان، (2000) **تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام**، ص.229.
11. ابي منصور محمد البغدادي (1988)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، ص.138.

12. وهم أصحاب القول بالاختيار، أي القائلين بحرية الارادة، فالإنسان في نظرهم مختار في أفعاله حر في ارادته، ويذهب المؤرخون الى أن أسبق الناس قولا بالقدر هو معبد الجهني، ويذكر أنه خرج مع الأشعث على بني أمية فقتله الحجاج عام 80 هـ انظر: أبو ريان محمد (2000)، **تاريخ الفكر الفلسفي**، ص.231.
13. : أبو ريان محمد (2000)، **تاريخ الفكر الفلسفي**، ص.231.
14. : أبو ريان محمد (2000)، **تاريخ الفكر الفلسفي**، ص.102.
15. : أبو ريان محمد (2000)، **تاريخ الفكر الفلسفي**، ص.104.
16. ابي منصور محمد البغدادي (1988)، **الفرق بين الفرق** ،ص.20.
17. مجموعة من العلماء (د.ت)، أهل السنة الأشاعرة، د.ط، جمع واعداد حمد السنان وفوزي العنجري، الكويت: دار الضياء للنشر والتوزيع، ص.40.
18. مجموعة من العلماء (د.ت)، أهل السنة الأشاعرة، ص.41.
19. مجموعة من العلماء (د.ت)، أهل السنة الأشاعرة، ص.293.
20. فيصل بن قزاز الجاسم (2007)، **المرجع السابق**،ص.622.
21. مجموعة من العلماء (د.ت)، أهل السنة الاشاعرة، ص283.
22. أبو ريان محمد (2000)، **تاريخ الفكر الفلسفي**، ص.350.
23. أو الجهمية، نسبة الى الجهم بن صفوان اول القائلين بالجبر والانسان في نظرهم مجبور في افعاله فلا قدرة له ولا اختيار فهو كالرسيشة المعلقة في الهواء اذا تحرك تحركت واذا سكن سكنت وان الله هو الذي قدر عليه افعاله . انظر: أبو ريان محمد(2000)، **تاريخ الفكر الفلسفي**، ص.229.
24. عز الدين الغرياني محمد(2010) ، **المذهب المالكي –النشأة والموطن و أثره في الاستقرار الاجتماعي**-، د.ط، ، بنغازي –ليبيا: دار الكتب الوطنية ، صص 09-10.
25. عز الدين الغرياني محمد(2010) ، **المذهب المالكي**، ص.14.
26. محمد ابو زهرة (دت)، **مالك حياته وعصره وآراؤه الفقهية**، ط2، دار الفكر العربي، ص. 376.
27. عبد الرحمن بن خلدون (2001) ، المقدمة، الطبعة الأولى، بيروت -لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص.245.
28. محمد الجزار(2006)، **الفكر الانساني**، ط1، القاهرة: مركز الكتاب للنشر، ص.243 .
29. انظر ابي منصور محمد البغدادي (1988)، **الفرق بين الفرق** ، ص.274.

30. الجنيد أبو القاسم (د.ت)، **رسائل الجنيد- القرن الثالث الهجري**- تحقيق علي حسن عبد القادر، برعي وجداي، القاهرة ، ص. أ.
31. - بضم الخاء وسكون اللام وفي أخرها دال مهملة نسبة الى الخلد ،محلة ببغداد، وانما سمي بذلك لأنه كان يوما عند الجنيد فسئل الجنيد عن مسالة قال الجنيد: أجبهم، فأجابهم فقال ياخلدي من أين لك هذه الاجوبة فبقى عليه. انظر: السبكي تاج الدين(د.ت)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، القاهرة : دار احياء الكتب العربية ج2.هامش 1، ص. 260.
32. السبكي تاج الدين (د.ت)، **طبقات الشافعية الكبرى**، ص.261
33. السبكي تاج الدين (د.ت)، **طبقات الشافعية الكبرى**، ص.261
34. الجنيد أبو القاسم (د.ت)، **رسائل الجنيد**- ص. 58.